

خلوات وهمسات

تقديم

الشيخ عبد الله الفريج

إعـــداد

كواكب الغانمي

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشرق جدة

جدة - طريق مكة القديم - كيلو ١٣- بجوار مستوصف سابا

ص . ب : (١٠٢١٣٧) جدة (٢١٣٢١) هاتف : (٦٢٠٠٠٠٥) تحويلة (١٣١) فاكس : (٦٢٤٠٢٩٨)

القسم النسائي : (٦٢٤٤٤٤٢) رقم الحساب : (٤٣٦٦٠٨٠١٠٠٩٢٣٣٤) مصرف الراجحي

الحمد لله الذي أمرنا بخشيته في السر والعلن ، والصلاة والسلام على من كان مثالا حيّاً يُقتدى به في عبادة الخفاء والعلن ، وبعد ،،

فقد اطلعت على ما كتبته الأخت من موضوع في غاية الأهمية في ثبات العبد ، فإن من راقب الله تعالى في خلوته كان له أخشى في جلوته ، ومن أصلح سريرته تنعَّم بصلاح ظاهره صلاحاً حقيقياً ، وقد كتبت الأخت جزاها الله خيرا كتابة جيدة متنوعة مدعَّمة بالأدلة وكلام السلف والعلماء والشواهد الشعرية ، وقد أحسنت جزاها الله خيرا ، وإني أرجو لما كتبته النفع وحسن العاقبة بإذن الله تعالى ، وأدعو الأخوات أن يسخِّرن جهدهن في خدمة الدعوة إلى الله تعالى فإنه أعظم شرف يناله المسلم في الدنيا وتحْسُنُ فيه العاقبة في الأُخرى والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ عبدالله الفريح

٢٢/٦/١٤٣٤ هـ

مقدمة :

الحمد لله عالم الإسرار والإعلان والصلاة والسلام على أشرف ولد عدنان نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان .. أما بعد

يقول الحق تبارك وتعالى في مطلع سورة الأنبياء : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[١] ، فكم من اللحظات التي تمر من أعمارنا ونحن في غفلة!! .. نعم نحن لا نشعر بأهميتها !!

ولو أن أحدنا تدارك نفسه وتزود فيها بما ينفعه في الدنيا والآخرة لنال الفوز والفلاح في الدارين فمن تلك اللحظات التي نغفل عن استغلالها بما ينفع تلك الأوقات التي تسمى بالخلوات ..

فلا شك أن كل منا له خلوة ، ولكن أي خلوة تكون بلسماً شافياً ودواء ناجعاً ؟!!..

---

١ – سورة الأنبياء: ١

لـذا – أخـوتي فـي الله – سـيكون لنـا فـي هـذه الوريقـات همسات ووقفات مع بعض الخلوات ، كما أننا سنذكر بعض النمـاذج المشـرقة التـي رفـع الـرحمن ذكـرهم وأعلـى شـأنهم لننظـر طرفـاً مـن أحـوالهم فـي خلـواتهم لعلنـا نقتفـي أثـرهم ونحشر في زمرتهم ، فهذا الصنف وفقه الله بفضله لاستغلال خلواته في تدارك ما فاته ولزيادة رصيد حسناته ..

نسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يرزقنا خشيته في السر والعلن وأن يستعملنا في طاعته إنه سميع قريب مجيب .

كتبته / كواكب الغانمي



ما أجملها من خلوة !!

إنها دوحة الصالحين وروضة العبّاد ونزهة القانتين ، إنها تلك الخلوة الصالحة ..

وهي الخلوة التي يقصدها المرء بنية التعبد لله جل في علاه فتنشرح نفسه ويشعر بالأنس واللذة . .

وهذه الخلوة يتأمل فيها المرء حاله مع ربه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره ..[٢]

نعم إنها الخلوة النفسية التي يكون فيها تذكير للنفس بما يجب عليها من القيام به من الأوامر ومحاسبتها عما وقعت فيه من تقصير وتهاون أو ارتكاب للنواهي..

بالطبع هي الخلوة التي يكون الهدف منها رضا رب الأرض

---

[٢] - مجموع الفتاوى ١/٤٢٥-٤٢٦

والسموات وزيادة في رصيد الحسنات والابتعاد عن أسباب الانتكاسات.

إنها الخلوة التي نستشعر فيها مراقبة عالم الخفيات رب الأرض والسموات ..

إنها اللحظات التي يتجلى فيها الإخلاص فلا مجال للرياء فيها ..

إنها الخلوة التي يخلو القلب فيها بالتفكر في زاد الرحيل إلى دار القرار ، والزهد في دار الفرار ..

كم نحتاج إلى تلك العبادات وخاصة في الخلوات..

فهنيئاً لمن جعل من خلواته زيادة في حسناته ، من ذكر لله وتفكر في مخلوقات الله ونحو ذلك من عبادات الخلوات..

وانتبه – رعاك الله – لا نقول اعتزل العالم وعش في انطوائية وإنفراد لأن الخلوة المطلقة ليس من هديه عليه الصلاة والسلام ، بل نقول خالط الناس لأن ذلك خير لمن كان داعياً الناس إلى الخير وصابراً على ما يلاقيه منهم ، فقد أخبر الحبيب ﷺ بذلك فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما

عن النبي ﷺ قال : "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم "[3]

فكم هو جميل أن يوفق العبد لمخالطة الناس ودعوتهم والتأثير فيهم مخالطة لا تصده عن حظ نفسه من الخلوات وحق ربه من الطاعات ..

فلتكن لنا خلوة مع أنفسنا المقصرة نحاسبها ونرغبها في الصالحات ، وخلوة مع ربنا نناجيه ونرجوه الثبات ونسأله الدرجات العلا من الجنات ..

قال مسلم بن يسار رحمه الله : " ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله " ، ودخل الكعبة فسجد وبكى حتى بلّ المرمر[4] وكان يقول في سجوده : متى ألقاك وأنت راض عني؟

فما أجمل تلك الخلوة !!

---

[3]- رواه أحمد والترمذي

[4] - نوع من الرخام الشديد الصلابة والصفاء

وقال فتح بن نوح رحمه الله سمعت أحمد بن حنبل يقول : أشتهي ما لا يكون !! أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس .

ويقول الإمام أحمد رحمه الله عن نفسه : رأيت الخلوة أروح لقلبي[٥]

همسة :

متى رأيت نفسك تهرب من الأنس بالله إلى الأنس بالخلق ومن الخلوة مع الله إلى الخلوة مع الأغيار فاعلم أنك لا تصلح له !

ابن القيم رحمه الله

---

[٥] – سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٦)

علة أم زلة ..

الخلوات تختلف باختلاف قوة الإيمان لدى الشخص فمتى زاد منسوب الإيمان في القلب كلما سخر الشخص خلواته في طاعة الله جل وعلا ومرضاته فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ..

والخلوة والعزلة مترادفتان في المعنى ، وقد نقل الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه حلية طالب العلم ضابط الخلوة والعزلة بقوله : (العزلة من غير عين العلم "زلة " ومن غير زاي الزهد "علة")[٦].

فالمقصود من هذه العبارة أن الخلوة والعزلة مذمومة إذا لم يتوفر فيها ركنان :

الأول: العلم ، فالعلم يورث الخشية من عالم السرائر والخفيات قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٧] ، فالعلم والمعرفة الحقيقية بالجليل سبحانه وتعالى

---

٦ - حلية طالب العلم (للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله)

٧ - سورة فاطر : ٢٨

تورث القلب تعظيم الرب ومحبته وخوفه ورجاءه ، فيستحي المرء أن يراه ربه على معصية ، أو أن يراه غافلاً ، قال تعالى في سياق ثناءه على عباده المؤمنين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[٨] فمتى كان الشخص عالماً بالحلال والحرام وعالماً بالشبهات إلا ردع النفس متى ما وقعت في شيء من المحرمات والمنكرات خوفاً ورهبة من عذاب رب الأرض والسموات ، ويحفزها على القيام بالواجبات والمندوبات رجاءً ورغبة في الدرجات العلا من الجنات .
فمن سقى خلوته بماء الخشية فليبشر بالأجر الكبير والمغفرة من السميع البصير قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٩] .

والثاني : الزهد عما في الدنيا الفانية من مباحات قد يؤدي الإكثار منها إلى الوقوع في الشبهات ، فمتى زهد الإنسان

---

[٨] - سورة المؤمنون : ٥٧

[٩] - سورة الملك:١٢

في هذه الدار فليبشر بالفوز بدار القرار برحمة وفضل من العزيز الغفار ..

وكان بكر المزني يدعو لإخوانه : (زهّدنا الله وإياكم في الحرام ، زهادة من أمكنه الحرام والذنب في الخلوة فعلم أن الله يراه فتركه)

قيل للحسن البصري رحمه الله :

ما سر زهدك في هذه الدنيا ؟

فقال : علمت بأن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأن قلبي له ، وعلمت بأن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به ، وعلمت أن الله مطلع عليَّ فاستحيت أن أقابله على معصية ، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله .

همسة :

إذا أردت أن تعرف مدى إيمانك فراقب نفسك في الخلوات

ابن القيم رحمه الله

خلوات الحبيب ﷺ ..

لنبدأ في أفضل أنموذج فهو الأسوة الحسنة إنه سيد الخلق أجمعين عليه الصلاة والسلام لنتأمل في حاله بأبي هو وأمي عندما كان يعتزل ويخلو بنفسه الليالي في غار حراء يتأمل ويتفكر في ملكوت الله في وقت كانت قريش تخوض في الباطل والأدران وقد تلبست بعبادة الأوثان ، لذا خلا المصطفى بنفسه يتأمل وينظر ويتفكر في صفحة الكون الواسع ، قالت عائشة رضي الله عنها : (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ– اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ)[١٠]

وبعد البعثة والرسالة يعمر عليه الصلاة والسلام ليله وهو وقت خلوته بربه بالقيام ، فإذا أقبل الليل بظلامه كان رسول

---

[١٠] – رواه البخاري

ﷺ يضيء جوانحه بالصلاة وذكر الله ، ويقوم ليله يتهجد ويناجي ربه ومولاه ويدعو من بيده ملكوت الأرض والسموات ، يفعل ﷺ ذلك استجابة لأمر خالقه وبارئه : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[١١] .

فيقوم بأبي هو وأمي حتى تتفطر قدماه ابتغاء شكر مولاه ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:كان رسول الله ﷺ يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه ، فيقال له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : (أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟)[١٢]

فهو عليه الصلاة والسلام لا يدع وقتًا يمر دون ذكر لله عز وجل وحمده وشكره واستغفاره والإنابة إليه جل وعلا ، فهو ﷺ عرف قدر ربه فحمده ودعاه وأناب إليه ، وعلم قيمة زمنه فاستفاد منه وحرص أن يكون عامرًا بالطاعة والعبادة ،

٤- سورة المزمل الآيات ١-٤,

٥- رواه ابن ماجه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه)[١٣].

ما أعظمها من لحظات عامرة بالطاعات فهي نِعْمَ الخلوات..

اللهم صلي وسلم وزد وبارك على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون ، وغفل عنه الغافلون.

يا رب صلي على النبي المصطفى

ما لاح برق في الأباطح أو قبا

يا رب صلي على النبي المصطفى

ما قال ذو كرم لضيف مرحبا

همسة :

غرس الخلوة يثمر الأنس

ابن القيم

٦- رواه مسلم.

إلى أي طاعة تتجافى ؟!! ..

تأمل – رحمك الله – أواسط سورة السجدة تجد أن الله ذكر المؤشرات الظاهرة التي تدل على إيمان الباطن ، حيث استفتحها بقوله : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا..﴾ وفي ثنايا تلك المؤشرات صورت الآيات مشهد ذلك المؤمن الصادق ، وهو في فراشه وهو مكان خلوته ، تهاجمه ذكرى الآخرة فلا يستطيع جنبه أن يسترخي للنوم ..

إنه قوله جل وعلا : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[14]

وأما جزاؤهم ، فقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ﴿ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال

---

[14] – سورة السجدة : ١٦

تعالى على لسان رسوله: "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"

فكما صلوا في الليل ، ودعوا ، وأخفوا العمل ، جازاهم من جنس عملهم ، فأخفى أجرهم ، ولهذا قال: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٥]

كيف حالنا نحن ؟!!

هل نحن ممن تتجافى جنوبهم عن المضاجع في دعاء وقيام وذكر ؟!!

هل نحن ممن تتجافى جنوبهم عن المضاجع خوفاً من عقاب الله وطمعاً في ثوابه جل في علاه ؟!!

أم نحن أقوامٌ ينامون الليل كله ويستثقلون دقائق معدودة ليتهجدوا فيها بين يدي الله ..

أو منّا أقوامٌ يسهرون الليل كله لكن في استراحات اللهو ويستكثرون أن يتوقفوا دقائق ليقفوا بين يدي الله ..

---

[١٥] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

أو منّا أقوامٌ يذهب ليلهم في تصفح الشبكة العنكبوتية والمواقع الإباحية فلو كانت لهم خلوة برب البرية لنال عظيم الأجر والعطية ..

فاعلم – رحمك الله – أن من أطاع الله في خلوته أظهر الله فعله الحسن للناس ..

فعلامة الصادق مع ربه أن يفرح بالخلوات للطاعات كما يفرح العاصي بالخلوات للشهوات .

وابشر برحمة الله يا من سخر ليله وقت خلوته بربه في قيام وتهجد ، يقول الحبيب عليه الصلاة والسلام: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء)[١٦].

وتأمل إلى هذا الموقف الذي يقصّه علينا الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد حفظه الله :

---

[١٦] – متفق عليه

سلكنا طريق المدينة النبوية قاصدين مسجد رسول الله ﷺ وكان الطريق آنذاك غير مزدوج ، بل هو طريقٌ واحدٌ للذاهب والآيب، فحصل حادثٌ مروريٌ في منتصف الطريق ، فتوقف السير ، وكان الوقت منتصف الليل ؛ فما كان منا إلا أن أخذنا ذات الشمال ، وأنزلنا الفرش كي نرتاح ريثما يفتح الطريق ؛ فما إن نزلنا حتى أخلد الصحب إلى نومٍ عميق ؛ لأن الإعياء قد بلغ بهم مبلغه ، أما صاحبنا أبو علي فله شأنٌ آخر؛ إذ يكاد يكون أشدهم إعياءًا، وأكثرهم حاجةً إلى الراحة والنوم ؛ فلما وضع رأسه على الوسادة ظن أن الفراش سيسلمه إلى نومٍ طويل، وأحلامٍ سعيدة ، ولكنه فوجئ بأن النوم بعيدٌ عنه ، فحاول فلم يفلح ، حينها بدأ يخاطب نفسه بكلماتٍ يسمعها من بجواره ، ويقول: "يا جسمي الفراش أمامك ، والطريق واقف ، والنوم مهيأ لك ، وليس لديك أي شغل ، وغداً أمامك طريق ، فإذا أردت النوم ، وكانت لك به حاجة فنم ، وإلا فأنت وشأنك ، واعلم بأن هذه فرصتك للنوم ، أما إذا طلع الفجر، وصلينا فسنواصل السير، وإن

بلغ بك التعب ما بلغ" ، سمعت منه هذه الكلمات ، وإذا بها تحمِل حكمةً فطريةً رائعة لو تدبرها العاقل لأراحته من الهم إذا طار عنه النوم ، وأرّقه السهاد ، ولقد استفدت من فلسفة صاحبنا أبي علي ، فإذا تعاصى عليَّ النومُ تركته وشأنه ، وأقصرت عن منته ، والتذلل له ؛ فأعمد إلى مطالعة ، أو قراءة ، أو تصحيح أبحاث ، أو مراجعة كتاب ، أو إكمال كتابة ، أو نحو ذلك ؛ فإن أتى النوم من تلقاء نفسه فبها ونعمت ، وإن غادر كان فيما أنا بصدده خيرٌ وبركة [17].

يا الله كم نمر بتلك اللحظات !!

أقصد لحظات تعاصي النوم وأرق السهاد ..

ولكن من منا استغل تلك اللحظة بما ينفع ولو بذكر ، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ

---

[17] - خواطر (للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد)/ص٨٢

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُه)[١٨]

الله أكبر !! ما أعظمه من فضل ..

ما أحوجنا إلى خلوة نعمرها بسجدة خاشعة تفتح لنا الأبواب ونناجي فيها الملك الوهاب.

همسة

من عمل لآخرته كفاه الله دنياه ، ومن أصلح فيما بينه وبين الله كفاه الله الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

---

[١٨] - رواه البخاري ١٠٨٦

دمعة خلوة ..

إنها تلك الدمعات التي تترجم ما يشعر به القلب وينطق به اللسان من ذكر للرحيم الرحمن ..

نعم إنها دمعات تغسل ما مضى من أوزار وتكون حجابا برحمة الله من النار فقد روى الترمذي وحسنه أن النبي ﷺ قال : "عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله " .

وقد ذكر لنا الحبيب عليه الصلاة والسلام في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر من هؤلاء : "ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"[١٩]

فلنا هنا وقفة مع هذا الصنف من الناس : لاحظ – رعاك الله – قال : (خالياً) أي أنه كان في خلوة بربه بعيدًا عن الناس وهذا باعث للإخلاص ، فذكره لله خاليا أي لا يكون عنده أحد فيكون أبعد عن الرياء ..

---

[١٩] – متفق عليه

وذكر الله لا يلزم أن يكون تسبيحاً وتكبيراً وتحميداً وتهليلاً في الخلوة ولكن يقول بعض أهل العلم : من رأى مبتلى فدمعت عيناه فهو يشبه الذاكرين الله لأن من المبتلين إذا رآهم المؤمن تدمع عيناه لأنه يذكر نعمة الله عليه فهذا كأنه ذكر الله بلسانه ..

وكذلك قد تدمع عينه في الخلوة حينما يتذكر ذنوبه وخطاياه..

وانظر إلى حال شيخ الإسلام في خلوته ذكر ذلك تقي الدين بن شطير : خرجت يوماً من الأيام وراء ابن تيمية ، فمضى شيخ الإسلام في طريقه بحيث أراه ولا يراني ، قال : فانتهى إلى مكان فرأيته وقد رفع طرفه إلى السماء وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ثم بكى ثم قال :

وأخرج من بين البيوت لعلني

أحدث عنك النفس بالسر خالياً

نسأل الله أن يجعلنا من الذاكرين الله كثيراً في خلواتنا وسائر أوقاتنا لننال مغفرة الغفار ونفوز بالأجر المدرار فهو جل في علاه القائل : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [20]

همسة :

أُنس الجاهلين بالمعاصي والشهوات ، وأُنس العارفين بالذكر والطاعات .

[20] - سورة الأحزاب: ٣٥

خلوة غير ..

نفع الغير باب واسع يشمل كل الأمور المعنوية والحسية التي حث عليها الإسلام قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[21] ، وهو من القربات التي يتقرب بها المسلم عند ربه عز وجل واحتساب الأجر في ذلك..

وما أجمل أن يكون لنا في خلواتنا نصيب من هذا اللون من القربات ، ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله شاهد على ذلك : (ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)[22] والمعنى أن المراد من إخفائه للصدقة أي لا يعلم بها إلا الله عز وجل ، والصدقة فاضلة سراً وعلانية ، يقول تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ﴾ (سورة البقرة:٢٧١)

---

[21] - سورة المائدة:٢

[22] - متفق عليه

والأفضل في إظهار الصدقة أو إخفائها يختلف باختلاف الأحوال ، فإن كان في إظهارها مصلحة فهو أفضل ، وإلا فإخفاؤها أفضل فرضاً ونفلاً .

وذلك لأن في إخفاء الصدقة تدريب للمؤمن على أن يوجد له عملاً خفياً لا يعلم عنه أحد من الناس ، ليكون أبعد عن الرياء ، وليتعود الإخلاص ، فإن هذا مما يزيد ممارسته لذلك العمل الجليل ..

فما أيسر العمل وما أعظم الأجر!!

فهذا زين العابدين علي بن الحسين ﷺ كان يخرج في آخر الليل فيأخذ من الدقيق ومن السمن ومن الزبيب على ظهره ويمر على فقراء المدينة ويعطيهم في ظلام الليل بحيث لا يراه إلا الله ، فلما مات وجاء الناس يغسلونه وجدوا أثر خيوط الحبال على كتفه ، فسألوا أهله عن ذلك ؟ قالوا : هذا من كثرة ما كان يحمل من الدقيق ومن التمر والزبيب ويوزع على فقراء المدينة كلهم .

فهذا من الذين أخفوا صدقاتهم بحيث لا يراهم إلا الله عز وجل ، فالليل وقت الخلوة فما أجمل أن نعمره بعبادات الخفاء ..

واسمع لابن المبارك رحمه الله وهو يتكلم عن إمام دار الهجرة فيقول : رأيت مالكاً فرأيته من الخاشعين ، وإنما رفعه الله بسريرة كانت بينه وبين الله ، وذلك إني كثيراً ما كنت أسمعه يقول : من أحب أن تفتح له فرجة في قلبه ، وينجو من غمرات الموت ، وأهوال يوم القيامة فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية .

سريرة المرء تبديها شمائله

حتى يرى الناس ما يخفيه إعلانا

فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا

في كل ما أنت تبغيه وبرهانا

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له .

والنماذج المشرقة موجودة حتى في علمائنا المعاصرين ..

قال علي بن عبد الله الدربي : من القصص التي وقفت عليها وتأثرت منها جداً هي أنه قام أربعة رجال من إحدى هيئات الإغاثة في المملكة العربية السعودية بالذهاب إلى أدغال أفريقيا لتوزيع المعونات من قبل هذه الدولة المباركة ، وبعد مسير أربع ساعات على الأقدام وبعد أن أضناهم السير مرّوا على عجوز في خيمة فسلموا عليها وأعطوها بعض المعونات ، فقالت لهم : من أي البلاد أنتم ؟

فقالوا : نحن من المملكة العربية السعودية

فقالت : بلغوا سلامي للشيخ بن باز

فقالوا : يرحمكِ الله وما يدري ابن باز عنك في هذه الأماكن البعيدة ؟!

فقالت : والله إنه يرسل لي في كل شهر ألف ريال بعد أن أرسلت له رسالة أطلبه المساعدة والعون بعد الله عز وجل.

والنماذج المشرقة من أهل الخير والصلاح كثيرة ولله الحمد..

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : (من أصلح سريرته فاح عبير فضله ، وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر) [٢٣]

وقد سمعت الشيخ صالح المغامسي حفظه الله يقول كلاما شبيه بكلام ابن الجوزي فيقول فضيلته : من سنن الله سبحانه وتعالى في عباده من خلقه أن العبد المسلم إذا أراد أن يخفي طاعته عن الأعين أظهر الله عز وجل عبقها وطيبها في الدنيا قبل الآخرة ولو بعد حين ، ومن أراد أن يعلم الناس طاعته ليتحدثون عنها أخفاها جل وعلا وقلما تحدث بها ركب أو سارت بها أحاديث .

فعلاً خلوة غير في نفع الغير ..

همسة :

سئل الشيخ العثيمين رحمه الله من داعية مشهور وأنه يعاني بسبب إقبال الناس عليه ومحبتهم ، ونفسه تضعف لذلك ؟!

فقال : اقتل حظ نفسك بعبادة خفية .

---

[٢٣] - صيد الخاطر (لابن الجوزي)/ص ٢٨

عفة شاب ..

قص علينا الله جل وعز في كتابه الكريم قصة شاب ضرب أروع المثل في العفاف بل أروع مثل في الإخلاص والمراقبة ، إنها قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز ليتخذ شبابنا منها قدوة ودرسًا عمليًا في كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف ، ويتعرف على الأسباب المعينة على الخلاص منها..

إن الواقع الذي عاشه يوسف عليه السلام هو في الحقيقة أشد من أي واقع يقابله شاب من شبابنا ، ذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرما في بيت العزيز ، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك ، أن ﴿رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي : هو غلامها ، وتحت تدبيرها ،والمسكن واحد ، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد ، ولا إحساس بشر.

﴿وَ﴾ زادت المصيبة ، بأن ﴿غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ وصار المحل خاليا ، وهما آمنان من دخول أحد عليهما ، بسبب تغليق الأبواب ، وقد دعته إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي :

افعل الأمر المكروه وأقبل إليَّ ، ومع هذا فهو غريب ، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه ، وهو أسير تحت يدها ، وهي سيدته ، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك ، وهو شاب عزب [٢٤]

سبحان الله !!

لقد كان عليه السلام في خلوة لا يراه من البشر أحد ، والضغوط كلها عليه ، ومداخل الشيطان كثيرة ، فما بحث عن تبريرات ، ولا استسلم لداعي الشهوات ، بل استحضر في ذلك الموقف العظيم خوفه من الله تعالى ومراقبته له ، وتعظيمه لحق الله تعالى فقال عليه السلام بلسان المؤمن المخلص : ﴿ مَعَاذَ اللّهِ﴾ ..

وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال : "إن قوة إخلاص يوسف عليه السلام كان أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبه لها" [٢٥] .. تكرر الإغراء وتكرر الموقف ..

---

[٢٤] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

[٢٥] – ابن تيمية – الفتاوى (٦٠٢/١٠)

وفي هذه المرة هددته وتوعدته وخوفته بالسجن ، بل والإعلان بذلك أمام النسوة بلا حياء أو خوف ، فلقد أعلنتها صريحة : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[٢٦] ، فما وجد الصدّيق بعد كل هذا إلا أن يعتصم بالله ، وأن يقدم رضًا الله على هوى النفس، ترك اللذة والشهوة ، وآثر عليها السجن بما فيه ، وكان أحب إليه من رغبة الشباب ولذة الحرام ، فأطلقها صريحة : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[٢٧] ..

كم يحتاج شبابنا إلى استحضار هذا الموقف ..

فيجعلوا منه أنموذجًا يحتذى ومثلاً يقتدى ..

قد يقول قائل يوسف عليه السلام نبي والأنبياء معصومون أي أن الله قد عصمه من الوقوع في المعصية لكنه يظل بشراً ، وتهيأ له ما لم يتهيأ لأحد من البشر في الفتنة ..

---

[٢٦] – سورة يوسف: ٣٢

[٢٧] – سورة يوسف: ٣٣

لكن لنرى نموذج مشابه فهذا شاب من السلف يدعى محمد يبيع الحليب ويطوف في الحارات لبيع الحليب ، وفي أحد الأيام طرق باب أحد البيوت وفُتح الباب وطلبت صاحبة المنزل وعاءين من الحليب فوضعهما عند حافة الباب وهم بالانصراف لكن نادت عليه صاحبة المنزل أن يقربهما أكثر إلى داخل المنزل حتى لا تظهر لمن هم في الشارع ، وعندما تقدم أكثر وأراد أن يضع الحليب جذبته صاحبة المنزل من يده إلى داخل المنزل وأغلقت الباب عليه ، مزقت ملابسها سريعا وأبلغته بأنها مفتونة به وأنه إذا لم يلبي لها رغبتها سوف تصيح عليه وتجمع عليه الناس وتتهمه بمحاولة اغتصابها ،كان الموقف حرجا ، فما كان من هذا الشاب إلا أن طلب منها أن تقوده إلى الحمام أولا قبل الاستجابة لرغبتها ، وما إن أصبح داخل الحمام حتى مرّغ نفسه بالنجاسة ..

وما هي إلا لحظات وأصبحت رائحته كريهة فخرج إليها ،

فما كان منها إلا أن أدارت وجهها عنه وقالت أنت مجنون اخرج أخرج من البيت ..

فأبدله الله بما فعل جزاء حسنا ، أصبح رائحته تشم من بُعد وهي تفوح برائحة كالمسك ، ومن يومها أصبح يدعى هذا الرجل محمد المسكي .

يقول ابن الجوزي : (إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة ؛ كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذراً من عقابه ، أو رجاء لثوابه ، أو إجلالاً له ؛ فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على مجمر، فيفوح طيبه ، فيستنشقه الخلائق ، ولا يدرون أين هو ..) [28]

همسة :

للعبد ستر ينه وبين الله وستر بينه وبين الناس ،فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس ..

ابن القيم

---

[28] – صيد الخاطر (لابن الجوزي)/ص٣٠١

لا تخفى عليه خافية ..

حرص ديننا القويم على أن تكون مراقبة العبد لله سبحانه وتعالى قوية متمكنة في نفسه تحرسه إذا خلا بنفسه فلا ينتهك حرمات الله ولا يقصر في أداء الطاعات وحتى لو أخطأ وضعفت هذه المراقبة في وقت ما فإنه سرعان ما يتذكر إطلاع الله عليه وعلمه بما يقع منه فيقلع عن هذا الخطأ ويندم على فعله ويعزم على ألا يعود إليه .

لذا ينبغي عليك – حفظك الله – استشعار أن الله جل في علاه رقيب مطلع عليك في جميع أحوالك ، في حركاتك وسكناتك ، وفي خلواتك وجلواتك ، وهذه هي المراقبة التي عرفها ابن القيم رحمه الله بقوله هي : دوام علم العبد وتيقنه بإطلاع الحق سبحانه على ظاهره وباطنه[٢٩] .

وابن المبارك رحمه الله حينما سأله رجل ما المراقبة قال : كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل.

---

[٢٩] – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ابن القيم الجوزية)

فمن لم يرع مراقبة الله عليه فقد جعل الله أهون الناظرين إليه ولم يعظمه حق تعظيمه ولم يقدره حق قدره ، وبالتالي يعتبر ناقص الإيمان لأنه لم يتعبد لله تعالى بأسمائه التي تبين مراقبته جل وعلا للعبد مثل الرقيب والحفيظ والسميع والعليم والبصير .. الخ ، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت عنده المراقبة الحقيقية ..

لذا يقول الحق جل في علاه : ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾[٣٠] ، يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره : "وهذا من ضعف الإيمان ، ونقصان اليقين ، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله ، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس ، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم ، ولم يبالوا بنظره وإطلاعه عليهم "[٣١] .

---

[٣٠] – سورة النساء:١٠٨

[٣١] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

فهل تأملنا قول الحق : ﴿ إن ربي على كل شيء حفيظ ﴾ فمن علم أن ربه حفيظ ؛ حفظ جوارحه وقلبه من كل ما لا يليق .

وتأمل هذه القصة : كان لبعض الملوك مملوك وعبد يؤثره على غيره من خدمه ومماليكه ، فكأن نفوسهم قد تحركت نحوه ، وتساءلوا عن سبب هذا التفضيل ، فبينما هو في سفر ومعه هؤلاء المماليك والخدم إذ لاحت من هذا الملك نظرة إلى جبل في قمته ثلج ، فركب ذلك المملوك على فرسه وركضه حتى انطلق دون أن يشعر به أحد إلى ذلك الجبل وأحضر من ذلك الثلج وجاء به إلى هذا الملك ووضعه بين يده ، فسأله هذا الملك : كيف عرفت أني أرغب هذا الثلج ؟ فقال : رأيتك نظرت إليه ، فهو يلاحظ نظرات هذا الملك ، فقال الملك : لجلسائه وخدمه ومماليكه : من أجل هذا كنت أؤثره ، إنكم تلاحظون مطلوبات نفوسكم وهو يلاحظ نظراتي وخطراتي .

سبحان الله !! مخلوق ينظر إلى مخلوق آخر ينظر إليه ، إذا حرك عينه اتجاه شيء قفز ، وجاء به إليه ، فأين نحن أيها الأحبة في معاملتنا مع الله تبارك تعالى ، نعصي ، ونقصر ، وأحياناً ننقر الصلاة نقراً ، ويصلي الإنسان بتثاقل ، أين المحبة ؟! وأين المراقبة؟! وأين التعبد لله عز وجل بمقتضى هذه الأسماء التي ذكرناها ؟!!

يقول سفيان الثوري رحمه الله : لو كان معكم من يرفع حديثكم إلى السلطان،أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا : لا ، قال : فإن معكم من يرفع الحديث .

فمن علم أنه يراه أحسن عملَه وعبادتَه وأخلص فيها ، وهذه حقيقة الإحسان التي عرفها لنا رسولنا الكريم في الحديث المشهور الذي رواه البخاري وغيره : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ..

فأين نحن من وصيته عليه الصلاة والسلام لابن عباس ﷺ وهي وصية لأمته كافة : (أتق الله حيثما كنت) وتأمل – أخي

المبارك وأختي المباركة – في قوله (حيثما كنت) أي في السر والعلانية ، في جلوتك وفي خلوتك.

وعند أحمد عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له : (أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته)

وقال حاتم الأصم رحمه الله : تعاهد نفسك في ثلاث إذا عملت فاذكر نظر الله إليك وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك وإذا سكتّ فاذكر علم الله فيك .

فهل استشعرنا علم الله فيما نفعله في سائر أعمالنا صغيرها وكبيرها في سرنا وعلانيتنا ؟!!

يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٣٢]

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره هذه الآية : (يخبر تعالى عن عموم مشاهدته وإطلاعه على جميع أحوال العباد

---

[٣٢] - سورة يونس: ٦١

في حركاتهم ، وسكناتهم ، وفي ضمن هذا ، الدعوة لمراقبته على الدوام)[٣٣].

نعلم أنه يرانا ومطلع علينا .. ومع ذلك فهناك من يتجرأ عليه في الخلوات ..

ويستهين بارتكاب المحرمات..

قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[٣٤] ، فإذا أغلقت عليك الأبواب وتواريت بالحجاب وغابت عنك أعين البشر ، فتذكر مَنْ لا تخفى عليه خافية ، تذكر من يرى ويسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، جل شأنه وتقدس سلطانه ..

يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته :

وهو الرقيب على الخواطر

واللواحظ كيف بالأفعال والأركان

---

[٣٣] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

[٣٤] – الملك : ١٣

ولله در القائل :

إذا ما خلوت بريبة في ظلمة

والنفس داعية إلى العصيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها

إن الذي خلق الظلام يراني

الله أكبر !!

هل استشعرنا أن الله معنا في خلوتنا ؟!!

وتأمل – رحمك الله – من خلال هذه الحادثة لإمام أهل السنة والجماعة ، أتى أحد الأدباء إلى الإمام أحمد رحمه الله ، فقال له الإمام أحمد : من أنت ؟

قال : أنا أديب أحفظ أشعار العرب

قال : أسمعني بعض الأبيات .

قال له الأديب : اسمع يا إمام يقول الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فترك الإمام كتبه ومحفظته وقلمه وقام ، وأغلق غرفته..

قال هذا الأديب : والله لقد سمعت بكاءه من وراء الباب وهو يردد البيت :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

واحذر – رحمك الله – فإن جوارحك التي تعصي بها الإله في خلوتك وجلوتك ستكون خصمك يوم القيامة ، وستشهد عليك لا محالة قال تعالى : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾ [٣٥] ، قال قتادة رحمه الله: (ابن آدم ، والله إن عليك لشهوداً غير متهمة في بدنك ، فراقبهم ، واتق الله في سرك وعلانيتك ، فإنه لا تخفى عليه

---

[٣٥] – فصلت:٢٢،٢٣

خافية ، الظلمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله)

نعم جوارحك هي خصومك !!

فيا من تسمع وتنظر وتأكل وتلبس الحرام وتعصي في ذلك الملك العلام فإن تلك الجوارح خصمك يوم القيامة !!

وإياك إياك أن تكون ممن أبدى للناس صالح أعماله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد

قال ابن الجوزي : "رأيت أقواما من المنتسبين إلى العلم أهملوا نظر الحق عز وجل إليهم في الخلوات ، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات ، فكانوا موجودين كالمعدومين ، لا حلاوة لرؤيتهم ، ولا قلب يحنُّ إلى لقائهم "[٣٦]

وقد سئل بعضهم : بما ينال العبد الجنة ؟ فقال : بخمس : استقامة ليس فيها روغان ، واجتهاد ليس معه سهو ، ومراقبة لله تعالى في السر والعلانية ، وانتظار الموت بالتأهب له ،

---

[٣٦] - صيد الخاطر : ص١٢٨

ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب .

ومن الناس من يعمل في الخلوة مالا يليق به كمسلم صالح وان لم يكن هذا العمل محرماً كأن يفعل مكروهاً أو يكثر من مباح يضيع عليه وقته دون فائدة بينما تجده في العلانية مبتعداً عن هذا الشيء ، فهذا إنما فعل ذلك لضعف المراقبة عنده .

أخفي عن الناس ذنباً أنت تبصره

يارب عفوك ، هذا بحر زلاتي

أتيت بابك يا رباه منكسراً

أشكو ، ومالي سوى ذلي وإخباتي

فالله .. الله في مراقبة الحق عز وجل ، فإنَّ عليكم من الله عينا ناظرة ..

همسة :

قال ابن الجوزى رحمه الله:

راقب من يراك على كل حال، وما زال نظره إليك في جميع الأفعال، وطهر سرك فهو عليم بما يخطر بالبال

احذر حرق الحسنات ..

للنفس البشرية رغبات وشهوات ، والشيطان حريص على أن يميل الإنسان مع شهواته ويتبعها حتى تجره إلى طريق الغي والضلال ، لذا وجه الإسلام لإشباع تلك الرغبات والشهوات بمنهج ثابت معلوم ..

فاحذر داء حرق الحسنات ؟!!

إنها معاصي الخلوات وعدم مراقبة عالم الخفيات..

ويكفي لبيان خطورة هذا الداء هذا الحديث فقد جاء في سنن ابن ماجه بسند جيد من حديث ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً " قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا ، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : " أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل ما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها "

نسأل الله العافية والسلامة ..

فهذا الصنف من الناس ترى عجباً في خلواته !!

فهم الذين غفلوا في خلوتهم ، وسبب غفلتهم هو جهلهم بربهم واغترارهم بالدنيا والعياذ بالله ..

فهؤلاء جعلوا من خلواتهم زيادة في سيئاتهم ، فبعدوا عن طريق الاستقامة والعياذ بالله وبالتالي سيقعون في الانتكاسة ولا شك ، يقول أحد السلف : (ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات)..

فلنحذر – إخوتي في الله – حرق الحسنات بسبب انتهاك المحرمات في الخلوات ، ولنستشعر مراقبة الرقيب سبحانه وتعالى في سائر الأوقات ..

وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله كلاماً يصب في هذا المعنى عند شرحه حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عند قوله ﷺ : "إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها"[٣٧]

---

[٣٧] – رواه البخاري

فيقول رحمه الله: "خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس"

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[38] : "وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة ، وهو أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة ؛ فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحاً ، فتبدو سريرته على وجهه نوراً وإشراقاً وحياء ، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعاً لسريرته ، لا اعتبار بصورته ، فتبدو سريرته على وجهه سواداً وظلمة وشيناً ، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته فيوم القيامة تبدو عليه سريرته ، ويكون الحكم والظهور لها"أ.هـ

نسأل الله أن يصلح سرائرنا وأعمالنا ..

وتأمل رحمك الله قد يشعر العبد أحيانا بهمّ وغمّ ولا يعلم ما هو سبب هذا الغمّ والهمّ !!!

سئل سفيان بن عيينة عن غم لا يُعرف سببه ؟

---

[38] - سورة الطارق: ٩

قال : هو ذنب هممت به في سرك ولم تفعله فجزيت هماً به.

قال شيخ الإسلام عقب نقله ذلك : "فالذنوب لها عقوبات: السر بالسر والعلانية بالعلانية "[39]

سبحان الله ما أعدله !!

وقال ابن الجوزي : نظرت في الأدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدتها أكثر من الرمل ، ورأيت من أعجبها : أن الإنسان يخفي مالا يرضاه الله عز وجل فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين ، وينطق به الألسنة وإن لم يشاهده الناس ، وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق ؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب ؛ وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل ، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ، ولا استتار ، ولا يضاع لديه عمل"[40]

وقال ابن عباس ﷺ : إن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمةً

---

[39] – فتاوى ابن تيمية ١١١/١٤

[40] – صيد الخاطر:ص١٠٨

في القلب ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضةً في قلوب الخلق ..

وكان السلف رحمهم الله يعرفون صاحب معصية الخلوة ، فإن لها شؤماً يظهر في الوجه ويظهر في ضعف إقباله على الطاعات .

وخلاصة القول أن صاحب ذنوب الخلوات سيُفضح أمره ويُعاقب في الدنيا والآخرة إن لم يتدارك نفسه بإصلاحها والبعد عن مسيء خلواتها

فلنتقي الله جل وعلا في خلواتنا وجلواتنا ولنحافظ على حسناتنا من أي جائحة ..

همسة :

قال أحد الحكماء : إياك أن تكون عدواً لإبليس في العلانية ، وصديقاً له في السر .

صمام الأمان ..

ما أعظم الحياء من الله !!

إنه صمام الأمان والرادع عن العصيان ..

فمن استحيا من الله لم يبارزه بالمعصية في الخلوة والجلوة..

انظر – رعاك الله – هذا أبو بكر الصديق ﷺ أفضل هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ يستحي من الله ويراقبه حتى إنه ليغطي رأسه في الخلاء حياءً من ربه ، قال أَبو بكر الصديق ، وهو يخطب الناس : (يا معشر المسلمين ، استحيوا من الله ، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء ، متقنعا بثوبي استحياء من ربي عز وجل) [41] ..

وعثمان ﷺ تستحي منه الملائكة لشدة حياؤه من ربه ، يكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليغيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه ..

الله أكبر !!

---

[41] – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم٧٧٣٢)

هذان الصحابيان الجليلان يستحيان من الله أن يراهما في شيء مباح فكيف في شيء محرم !!

جاء في الأثر : (أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح في قومك)[٤٢] ..

وقال بعض السلف : علمتُ أنَّ اللهَ مطَّلعٌ عليَّ فاستحييتُ أن يراني على معصية .

سبحان الله .. أين نحن من هؤلاء ؟!!

إلى الله نشكو ضعف إيماننا !!

نعلم أنه يغضب إن عصيناه ..

وبالرغم من ذلك نقع في الذنب ولا نستحي من الرب ..

فيا تُرى ما السبب ؟!!

يجيب ابن الجوزي رحمه الله بقوله : (تأملت وقوع المعاصي من العصاة ، فوجدتهم لا يقصدون العصيان وإنما يقصدون موافقة هواهم ، فوقع العصيان تبعا ، فنظرت في سبب ذلك الإقدام مع العلم بوقوع المخالفة ؛ فإذا به ملاحظتهم لكرم

٤٢- رواه الطبراني في الكبير ، وصححه الألباني

الخالق ، وفضله الزاخر ، ولو أنهم تأملوا عظمته وهيبته ، ما انبسطت كفٌ بمخالفته)[43] ..

فمن استحى من الناس ولم يستحي من الله فلعدم معرفته به ؛ فالإنسان يستحيي ممَّن يعظمه ؛ ومَنْ لا يعرف اللهَ فكيف يعظِّمه؟!

فهل عظمنا الله في نفوسنا وقدرناه حق قدره جل في علاه؟!!! ولله در القائل :

إذا ما قال لي ربي   أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب عن خلقي   وبالعصيان تأتيني

فكيف أجيب يا ويحي   ومن ذا سوف يحميني

أسلي النفس بالآمال   من حين إلى حين

وأنسى ما وراء الموت   ماذا بعد تكفيني

قال ابن قدامة في كتاب " التوابين " : روي أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم فقال له : يا أبا إسحاق! إني مُسْرف على نفسي فاعْرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي.

---

[43] - صيد الخاطر (لابن الجوزي)

قال : إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ، ولم توبقك لذة .

قال: هات يا أبا إسحاق !

قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه .

قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه ؟

قال له: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه ؟

قال: لا ، هات الثانية !

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده.

قال الرجل : هذه أعظم من الأولى ! يا هذا ! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن ؟

قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟

قال : لا ، هات الثالثة !

قال : إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعْصِه فيه .

قـال : يـا إبـراهيم ! كيـف هـذا وهـو مُطَّلـع علـى مـا فـي السرائر؟

قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ، وهو يراك ويرى ما تجاهره به ؟ !

قال : لا ، هات الرابعة !

قال : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخِّرْني حتى أتوب توبة نصوحاً ، وأعمل لله عملاً صالحاً.

قال : لا يقبل مِنِّي !

قـال : يـا هـذا ! فأنـت إذا لـم تقـدر أن تـدفع عنـك المـوت لتتوب ، وتعلـم أنه إذا جاء لـم يكـن له تأخير فكيـف ترجـو وَجْه الخلاص ؟!

قال : هات الخامسة !

قال : إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم !

قال : لا يَدَعُونني ولا يقبلون مِنِّي .

قال : فكيف ترجو النجاة إذاً ؟!

قال له : يا إبراهيم ! حسبي حسبي ! أنا أستغفر الله وأتوب إليه .

ولَزِمَه في العبادة حتى فَرَّق الموت بينهما.

وتأمل رعاك الله قول الشافعي رحمه الله : (أعز الأشياء ثلاثة : الجود من قلّه ، والورع في خلوة ، وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف)

الشاهد من قوله رحمه الله : (الورع في خلوة) لأن الورع في العلانية له أسباب تجلبه وقد يكون لغير الله حظ فيه ، أما الورع في الخلوة فلا يبعث عليه إلا مخافة الله ورجاؤه .

همسة :

قال مسروق رحمه الله : (من راقب الله في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه)

إليك الدواء ..

أولاً : نستشعر عظمة الله ومراقبته فتزيد هيبته في قلوبنا فنمتنع عن فعل المعصية ، والمراقبة تولد (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ) ، وتُستحضر بـ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾[٤٤] .

ثانياً : اليقين الكامل بأن الله عز وجل يحصي على العبد كل ما يقع منه وسيجازيه عليه يوم القيامة : قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [٤٥]

ثالثاً : الفرار هو أعظم أسباب النجاة ، فالفرار من الخلوة بالأجنبيات ، وصيانة النظر عن رؤية المحرمات والعورات ، والبعد عن مواقع الشهوة والعري في النت والفضائيات ،

---

[٤٤] – سورة إبراهيم :٣٨

[٤٥] – الكهف:٤٩

كلها من أسباب الفرار بالدين من الفتن ، وخلاصتها غض الأبصار عن الوقوع في حمى الأخطار .

ولما سئل بعضهم : بما يستعين الرجل على غض بصره عن المحظورات ؟ قال : بعلمه أن رؤية الله تعالى سابقة على نظره إلى ذلك المحظور .

ولله در القائل :

كل الحوادث مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة بلغت من قلب صاحبها
كمبلغ السهم بين القوس والوتر

يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

ومن صدق الفرار أن يفر الواحد منا من قرناء السوء الذين يذكرونه بالمعاصي، ويحدثونه عنها وعن سبلها ووسائلها وكيفية الوصول إليها ، بل ويمدونه بها وييسرونها عليه ، فهؤلاء معرفتهم في الدنيا عار وفي الآخرة خزي وبوار .

رابعاً : تذكر – حفظك الله – أنك تترك هذه المعصية لله ، وتأكد بأن الله سيعوّضك خير منها ، فإن زلّت قدمك وأخطأت فبادر إلى التوبة النصوح ولا تجعل من خلواتك مسرحاً دائماً للمعاصي ..

خامساً : التقرب إلى الله تعالى بعبادته وطاعته وأداء فرائضه ، واجتناب محارمه ، ثم الإكثار من النوافل والمستحبات وترك المكروهات ، وقد دل على هذا قول النبي ﷺ : (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)[٤٦]

سادساً : الإكثار من ذكر الله وإشغال اللسان بذلك ، كل ذلك يجعله في معية الله وحفظه ورعايته دائماً (أحفظ الله

---

[٤٦] – رواه البخاري

يحفظك) فيحفظك سبحانه من الوقوع في مثل هذا الداء ويستعملك في طاعته .

سابعاً : الإقبال على طلب العلم لأنه كما ذكرنا سابقاً أن العلم يورث الخشية من الله جل وعلا في السر والعلن : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٤٧] ، فعليك شغل وقتك بكل مفيد من قراءة أو تدبر قرءان أو حضور مجالس العلم أو استماع للمحاضرات كل ذلك يشغلك عن المعصية فإن نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

ثامناً : لزوم الجماعة الصالحة لأن الخلوة فرصة يتفرد الشيطان فيها بالإنسان ، ففي الحديث : (وعليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)[٤٨]

تاسعاً : التضرع إلى الله جل وعلا ودعاؤه وسؤاله أن يعينك على التخلص من هذا الداء ، وأن تسأله سبحانه أن يرزقك

---

[٤٧] - سورة فاطر : ٢٨

[٤٨] - رواه الترمذي

خشيته في الغيب والشهادة فقد كان دعاء الرسول ﷺ : (وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة) ، ونتحرى في ذلك أوقات الإجابة .

همسة :

قال ابن رجب رحمه الله : السعيد من أصلح ما بينه وبين الله فإنه من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق

الخاتمة ..

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على خير من خشي ربه واتقاه في العلن والخلوات ..

فالحديث عن عبادات الخفاء وذنوب الخلوات يطول ولعل ما ذكرته في هذه الوريقات يجد له قلباً واعياً ولساناً في ظهر الغيب لنا داعياً وأن يجعله حجة لي لا حجة عليّ فما كان فيه من صواب فمن الله الكريم الرحمن وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ..

نسأل الله بمنه وكرمه أن يرزقنا تعظيمه في السر والعلن ، وأن يصلح بواطننا وظواهرنا ، وأن يزيننا بزينة الإيمان ، ونسأله جل وعز أن يقسم لنا من خشيته ما يحول به بيننا وبين معاصيه ومن طاعته ما يبلغنا جنته ومن اليقين ما يهوّن به علينا مصائب الدنيا ، كما نسأله سبحانه أن يعصمنا من الزلل وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل إنه سميع قريب مجيب ..

بالله يا ناظراً فيها ومنتفعا

منها سل الله توفيقا لجامعها

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

أسئلة مقترحة لمسابقة الكتاب :

س١ : من القائل (رأيت الخلوة أروح لقلبي) ؟

س٢ : الخلوة أو العزلة مذمومة إذا لم يتوفر فيها ركنان هما :

١- ....

٢- ....

س٣ : من سقى خلوته بماء الخشية فليبشر بالأجر الكبير والمغفرة من السميع البصير.. اذكر الدليل؟

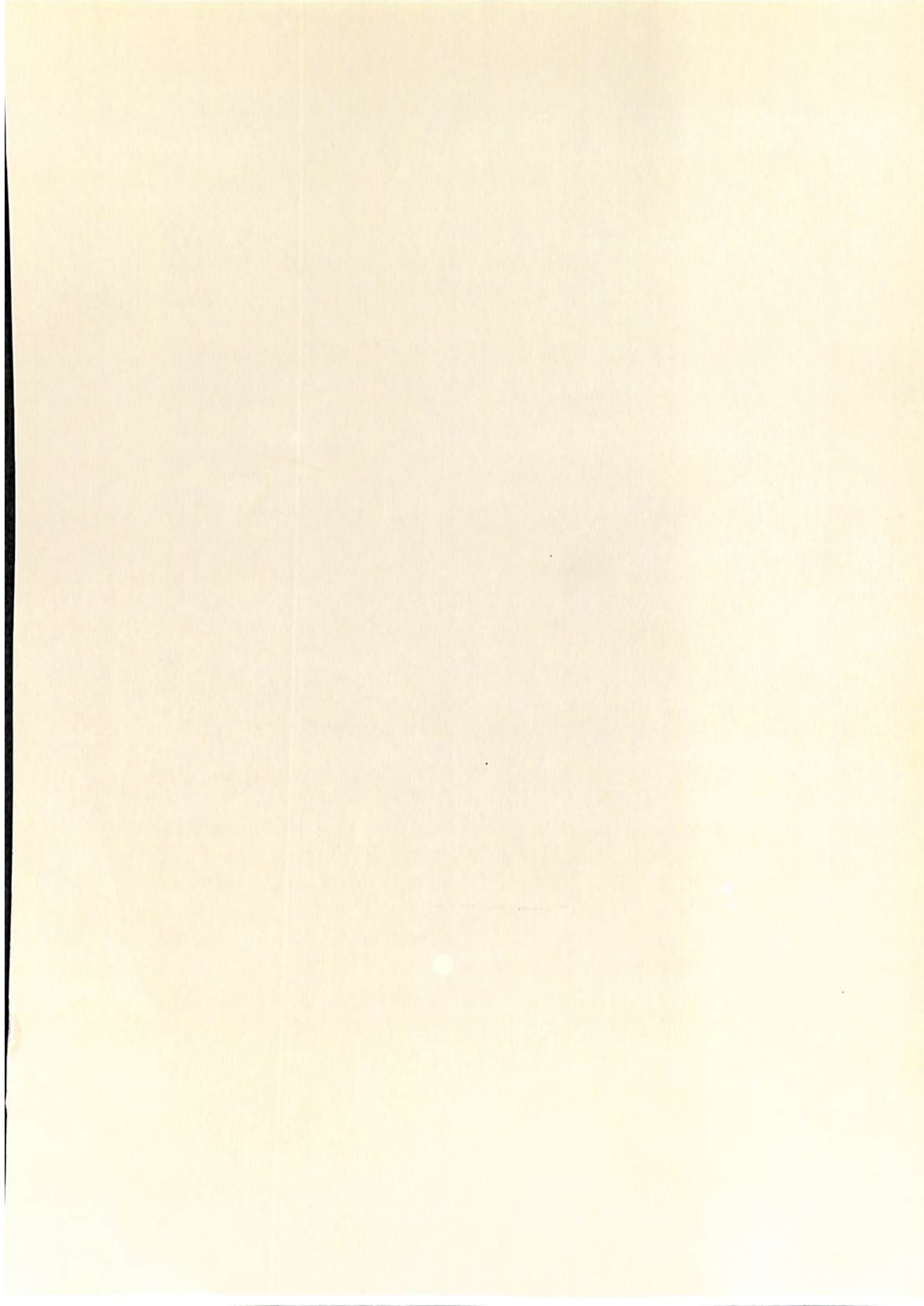
س٤ : ما تفسير السعدي رحمه الله في قوله تعالى :
﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ؟

س٥ : اذكر تعريف ابن القيم رحمه الله للمراقبة ؟

المراجع ..

- سير أعلام النبلاء ، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
- صيد الخاطر ، لأبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
- الفتاوى ، ابن تيمية
- مدارج السالكين ، لابن القيم
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي
- حلية طالب العلم ، للشيخ بكر أبو زيد
- خواطر ، للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد

الفهرس ..





من إصدارات المؤلفة

حياة المشتاقة في الجنة

إعداد
كواكب الغانمي

تقديم الشيخ
أنس بن سعيد القحطاني

رؤية وإشراف
قتيبة بن عدنان الماضي

خلوات وهمسات

تقديم
الشيخ عبد الله الفريح

إعداد
كواكب الغانمي

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشرق جدة

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشرق جدة
جدة - طريق مكة القديم - كيلو ١٣ - بجوار مستوصف سابا
ص . ب : (١٠٢١٣٧) جدة (٢١٣٢١) هاتف : (٦٢٠٠٠٠٥) تحويلة (١٣١) فاكس : (٦٢٤٠٣٩٨)
القسم النسائي : (٦٢٤٤٤٤٢) رقم الحساب : (٤٣٦٦٠٨٠١٠٠٩٣٣٣٤) مصرف الراجحي